دمية القصر

عبد الله بن محمد بن يوسف . أدركته وأنا بزوزن سنة سبع وعشرين وأربعمائة شيخاً شاب الظرف يأتي دائماً وهو مكتحل الطرف وقد هم أن يلتقي طرفاه قصراً . وقد كاد يكون من غزارة علمه عالماً مختصراً أملى علي وأنا لا أعرف معنى كلامه لحداثتي : .

يا من هجانا على جهل ليوحشنا ... قابلتنا بسلاح نحن نملكه .

يا بؤس كفك هل تدري وقد كتبت ... هجاءنا أي تنين تحركه .

وكتب إليه والدي على يدي ونحن بزوزن : .

أيها الأستاذ مهلاً ... لست للجفوة أهلا .

جئت من ربعك حزناً ... كان للأضياف سهلا .

لا تغادر سلسبيل القرب بالهجران مهلا .

وأقرني وجهك واجعل نزلي أهلاً وسهلا .

فأجاب عنه : .

أيها الباذخ فرعاً ... أيها الراسخ أصلا .

جاءني الشعر الذي حز ... ت به للسبق خصلا .

خاطري صار عموداً ... وهو وقتاً كان نصلا .

فتفضل وتقبل ... بدل السكر مصلا .

واهجر الكلفة هجرا ... أصل الخدمة وصلا .

وللأستاذ أبي محمد أيضاً : .

إذا كنت متخذاً ضيعةً ... فإياك والشركاء الوجوها .

ودار الملوك فإن الملوك ... " إذا دخلوا قريةً أفسدوها " .

وله أيضاً : .

يا قومنا إلى متى نصيح ... ولا يروج عندنا نصيح .

إن البلاد عرضها فسيح ... وزوزن قد خربت فسيحوا .

وله في الشيخ الرئيس أبي القاسم عبد الحميد بن يحيى : .

إني حلفت يمينا ... بمن أمات وأحيا .

أن الرئيس المرجى ... عبد الحميد بن يحيى .

رأى لزوزن رأياً ... كأنما كان وحيا .

القاضي أبو جعفر محمد بن إسحق البحاثي .

كتبت على ظهر ديوانه فصلاً جمع بين بعض أوصافه وإن كان مشتملاً من الفضل على أضعافه . وفي القليل ما يغني عن الكثير ولا ينبئك مثل خبير .

الفصل : لما تجاوزت عتبة إيوان هذا الديوان أعذت في ذلك ناشر بزها وواشي طرزها القاضي أبا جعفر من عين الكمال راغباً في ذلك إلى ا تعالى بأصدق الآمال . فقد خاض بها لجج البلاغة أتم الخوض وتفنن في أنواعها تفنن الحمراء والصفراء من قطع الروض . إن أجم الجد بالفكاهة في الأحيان فمنحوت من نبعة ابن الحجاج . وإن نشط لمغازلة الغزلان فموصوف بظرف ابن أبي ربيعة في وصف ما تضمنته هوادج الحجاج . وإن استب فأحد الفحلين ؛ جريراً أو الفرزدق وإن كانا من القدماء . وإن دب فالملك الضليل يسمو إلى صاحبته سمو حباب الماء . وإن أطرى فابن ثابت حسان وقصائده في غسان تلك الحسان . وإن رثى ورى زنداً عفاره من المرخ . وأملى النياحة على الحمامة المفجوعة بالفرخ وعلى الجملة ما من بحر ركب سفينة إلا غاص على دره وانتزع دفينه . ف دره من فاضل يغمر ماطراً ويقمر مخاطراً . فمما قاله في المديح قوله من قصيدة له في الأمير أحمد بن نيالتكين وأنشدنيها لنفسه : .

من يكن يطلب البراز فذا أحمد في سرج طرفه القماص .

وبكفيه خاطب قوله الفصل على منبر الطلى والعناصي .

شغلته العلا بأسمر ذي عشرين عن كل أسمر ذي عقاص .

ومنها وذكر عدوه : .

ليس ينجيه غيضة من شبا جهم لآساد غيلها قناص .

سوف يأتيه بالسيوف تراها ... طائعات على أكف عواص .

وبجيش يجيش نحو الأعادي ... بقلوب على الحتوف حراص .

ونفوس يوم اللقاء رخاص ... وهي بعد اللقاء غير رخاص .

قد أعدوا من قوة ما استطاعوا ... وتواصوا بالصبر أي تواص .

مطعمي أنسر الفلاة لحوماً ... بالمواضي بطانها والخماص .

تاركي رؤوس الأعادي كبيض ... في أداحي النعام بالأدعاص .

وله من أخرى في غيره : .

يرتاح للمجد مهتزاً كمطرد ... مثقف من رماح الخط عسال .

فمرة باسم عن برق ثغر حياً ... وتارةً كاشر عن ناب رئبال .

فما أسامة مطروراً براثنه ... ضخم الجزارة يحمي جيش أشبال .

يوماً بأشجع منه حشو ملحمة ... والحرب تصدم أبطالاً بأبطال